

## تقديم:

يتسم القرن الحالي بتغيرات وتحولات عالمية متلاحقة ومتسارعة ومتفاوتة في المجالات كافة، ولها انعكاساتها التي لا يمكن تجاهلها علي كافة المستويات: العالمية، والقومية، والمحلية، وكذلك لها تأثيراتها علي المجتمعات بوجه عام، وعلي المفاهيم بوجه خاص.

ولعل محاولة سيادة النمط الرأسمالي والترويج المقصود للبيرالية الغربية العلمانية بقيمتها الشديدة التحرر، من أبرز ملامح هذه التحولات التي تروج لها العولمة لتتال من المجتمعات المغايرة لها ثقافياً علي طريق عولمتها، فأفرزت مفاهيم، ورسخت أخرى، وعملت علي تزدهار مفاهيم سلبية نالت من الذات الإنسانية الفردية، وأيضاً الذات المجتمعية في آن واحد، ومن أهم هذه المفاهيم "الإغتراب Alienation"، وعليه يحلول الكتاب الذي بين أيدينا بفضل الله تعالى أن يبيلور عبر فصوله الأربعة هذا المفهوم السلبي، حيث تحليله وتفنيد تأثيراته السلبية علي كل من الذات الفردية، وأيضاً الذات المجتمعية، وكيفية قهره وانتفاء وجوده، بانتهاج التقوى كقيمته توجه السلوك في كافة المواقف الحياتية سواء مع الذات، أو مع مَنْ حولها، أو مع المجتمع ككل.

ولذا قد يكون من المفيد في الفصل الأول من هذا الكتاب تناول مفهوم

التقوى بالتوضيح معزراً بآيات القرآن الكريم، وهدى رسول الله محمد ﷺ، فمع التقوى النجاة في الدنيا والأخرة، وهي وراء كل عمل صالح يأتي به الفرد في حياته، فيصلح به حاله وحال مجتمعه - فما للمجتمع إلا مجموع أفراده-

وحتى تتحقق الذات الإنسانية ، ويتعزز التفرد والتمايز ، وتتفنى الفردية والأنانية والمليبية، فينتفي الفساد والإفساد ويسود الأعمار الحقيقي في الأرض وتتحقق وظيفة الإنسان، خليفة الله في أرضه في أعمارها بعد تحقيق هدفه في هذا الوجود وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ومع هذا إجمالاً تتعزز الهوية ، ويتأكد الولاء والانتماء وتتحقق الذات الإنسانية وتقديرها، وبالتالي تخفف حدة الإغتراب إن لم يكن انتقاء وجوده.

إن التأكيد على تلك المفاهيم وغيرها من القيم والمفاهيم الإيجابية ضرورة قصوى ، حيث من شأنها العمل على إصلاح شأن الفرد وتحقيق ذاته بعزة وكرامة، وكذا إصلاح المجتمع وتحقيق وحدته وتماسكه وتقدمه، واعتزاز أفراد به نتيجة لإنتفاء الفساد ، وتبعاً لما يوفره لهم من عدالة اجتماعية ومساواة تمكنهم من العيش بكرامة، وإشباع حاجاتهم الأساسية، وتحقيق نموهم وتقديمهم، فحق عليهم الاعتزاز به وشرف للانتماء والولاء له.

ولا شك أن في هذا إشارة إلى دور المؤسسات المجتمعية على تنوعها خاصة تلك المعينة بعمليات بث الوعي ، وأكثر خصوصية تلك الإعلامية والتربوية بدء من الأسرة، والمدرسة، والجامعة، ناهيك عما يجب أن تقوم به مؤسسات المجتمع المدني في هذا السياق، ودور العبادة، والأحزاب السياسية إن كانت ممثلة بصورة حقيقية، تستطيع أن تقوم بواجبها الإنساني نحو مجتمعها ولصالحه، حتى تسهم جميعها في تمكين الأفراد من واجباتهم نحو مجتمعهم بسلوك إيجابي، تتجلى فيه تلك المفاهيم والقيم التي حثنا الله تعالى على أتباعها

في كتابه المُنزَل، والموضحة في هدي رسول الله ﷺ حيث سنته الشريفة والذي بعث للناس كافة ورحمة للعالمين والذي قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَ شَيْدًا الْقَوَىٰ (٥)﴾ [النجم ٣-٥]، فقد كان عليه الصلاة والسلام موصلاً بالوحي من قبل الله سبحانه وتعالى ليبلغ الأمة، بل والناس كافة ما فيه صلاح أنفسهم واستقامتهم وتحقيق النجاة لهم في الدنيا، وجنات عرضها السموات والأرض في الآخرة، إن هم اتبعوا المنهج الإلهي وساروا على هدي النبي محمد ﷺ.

إن بداية التقوى هي المعرفة الحقيقية لله سبحانه وتعالى واليقين بجواهر التسليم والخضوع للكامل في عبودية له وحده سبحانه، والسعي في الحياة الدنيا في إطار ذلك بإتباع ما أمر به سبحانه، وتجنب ما نهى عنه وتوحيده وحده سبحانه لا شريك له، والخوف والرجاء منه، والتوكل عليه وحده سبحانه، فمهما طالبت هذه الحياة الدنيا وهي دار الممر، ستأتي الآخرة دار المقر، وستجزى كل نفس بما كسبت إما لها، أو عليها قال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة من الآية ٢٨٦] في تأكيد على ضرورة الأخذ بالأسباب في حركة الحياة واليقين بيوم الحساب حيث يوضع الميزان، ميزان متقوله الذرة قال الله تعالى في شأنه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة ٧]

وما الأمة الا مجموع أفرادها ، وفي صلاح الأفراد وتقواهم لله تعالى ، صلاح الأمة فتصبح قوية متماسكة يعمل لها حساب وسط الأمم .

وكفى أمتى فقد نالت منكى الأسقام تصدعا  
وتاه منكى الطريق ورجعتى التقهقرا  
ونال منكى الهوان .. لصالح من هذا التخاذلا ؟  
هل اصبحتى ترتضين الخنوع وعيش التضعضعا ؟  
بالله عليكى أمتى انهضى وكفى تخاذلا  
بضعفك انتشى عدوك ومارس عليكى التجبرا  
انهضى وعودى لمنهج الله طريقا وتدبرا  
تعيشين فى عزة وكرامة ويهابك الغادر المتكبرا

وفى الفصل الثانى من هذا الكتاب نتعرض لمفهوم الإغتراب بالتحليل والتفسير  
للقوف على ماهيته؟ وما أهم أبعاده؟ وما العوامل المؤدية إليه؟ وأهم مظاهره؟  
عسى يقف القارئ على ما يسببه هذا المفهوم السلبي من آثار مدمرة تتال من  
الذات الإنسانية الفردية وأيضاً المجتمعية، ومعه تنتامي مشاعر الإحساس بالعجز  
والعزلة الاجتماعية، والانفصال، ويضيع المعنى وسط لامعيارية هدامة، ومعها  
تفتقد العدالة الاجتماعية وتتنفى المساواة بين الأفراد، وتضيع الحقوق الأساسية ،  
ويهدر مفهوم الذات ، وينتفى تحقيقها، بل وتتهدد وربما تتبدد مفاهيم هامة كالولاء  
والانتماء، وقد تطمس الهوية لا تهتز فحسب، وقد تصبح هشة جوفاء تضيع معها  
الذات الفردية ، وبالتالي الذات المجتمعية، بمعنى أنق ينتهي جوهر المجتمع بمعناه  
الاجتماعى نتيجة اعتلال أفراده واغترابهم سواء عن ذواتهم الفردية أو عن مؤسساتهم  
التي ينتمون إليها ، أو عن مجتمعهم الذي يعيشون فيه، والذي بدوره هو أيضا وقد  
يكون مجتمع معتل مريض لا يستطيع أن يفي بالتزاماته وإعطاء أفراده حقوقهم  
على تنوعها ليقوموا بواجباتهم تجاهه.

وقد يكشف محتوى هذا المحور عن إجابات لبعض التساؤلات التي ربما تكون جالت بخاطر القارئ منها:

س : هل الإنسان المغترب عن ذاته يدرك أنه مغترب عن ذاته ؟

س: ما هي ملامح وسمات هذا الإنسان المغترب؟ وأفعاله؟

س : هل كل من تعارضت قيمه مع القيم السائدة في مجتمعه هو مغترب عن

مجتمعه ؟ ام مغترب عن ذاته ؟ ام كلاهما معا؟

س : هل يمكن أن يكون للفرد سوياً ، ومغترباً عن مجتمعه في آن واحد ؟

بمعنى : هل يعاني الفرد اغتراب اجتماعي دون معاناته لاغتراب ذاتي ؟

س : إلى أى مدى تسهم العوامل المجتمعية والأسرية في تعزيز مشاعر

الاغتراب وتأجيج مظاهره السلبية لدى الأفراد بالمجتمع ؟

\* ثم يكون لنا وقفة ثالثة مع هذا المفهوم السلبي (الاغتراب) في الفصل الثالث:

حيث التنظير الفلسفي والسوسيولوجي لهذا المفهوم عبر تناوله لدى بعض

الفلاسفة والمفكرين في بعض الاتجاهات الفكرية العالمية وخاصة في كل من:

(العقد الاجتماعي، الماركسية، البنائية الوظيفية، مدرسة الفعل الاجتماعي).

ثم هناك وقفة مع الإسلام في مواجهة الاغتراب.

وبإيجاز شديد يمكن الإشارة في التالي بعد إلى كيفية تعامل هذه الاتجاهات

مع الاغتراب:

### (١) العقد الاجتماعي:

يرى أصحاب هذه النظرية ضرورة خلق الإنسان لحريته وإرادته

وتسليمها إلي كيان آخر قد يكون المجتمع المدني، أو السلطة السياسية، فيرى

توماس هوبز، أنه على الإنسان لكي يعيش في أمن وسلام عليه أن يتنازل عن

قوته الخاصة، وحقه الطبيعي بإرادته للمجتمع المدني ليكفل له حقه في حياة آمنة مستقرة، والجميع يتنازل عن هذا الحق، ماعدا الحاكم، ويرى "جون لوك" أنه على الناس أن يتحدوا برضا واختيار، ويتجردوا من حريتهم برضاهم ويلبسوا روابط المجتمع المدني، وأنه على الحكومة والسلطة السياسية المحافظة على أمن الناس وحياتهم وتحقيق استقرارهم وحفظ ثرواتهم، وأن المجتمع الأساسي هو سوق احتكارية يفرض نفوذه ويحدد الثمن الذي يتحتم على المحكومين دفعه (وهو الاغتراب الكامل) وانعدام الأمن بأبعاده إلا الأمن العام الذي هو ضمانه لحفظ رأس المال، بينما يرى "جان جاك روسو" أنه في تنازل الفرد عن حريته لفرد آخر إنما هو حط من قدره وإذلال له، لذلك يجب أن يتنازل الفرد عن حقوقه الطبيعية للدولة... وهذا هو أساس نظرية العقد الاجتماعي، ومعه يتحقق الاغتراب الشامل.

## (٢) النظرية الماركسية:

ترى هذه النظرية أن تقسيم العمل هو وراء الإغتراب، لأن ناتج العمل هو الذي يتحكم في طبيعة النشاط الإنساني وغايته، ولأن العمل يفرض على العامل، فكلما زاد ما ينتجه العامل زادت قوة رأس المال، وضعفت قدرة العامل على امتلاك ما ينتجه ويصنعه، فيصبح ضحية لعمل أنتجه، لأنه يخلق بفعله ومجهوده عالم مضاد له، ولأن العمل منفصل عن موضوعه ويفرض على العامل، فإنه يؤدي إلى الاغتراب، وكلما جسد العامل ذاته في العمل الذي ينتجه تنتفي ذاته الحقيقية، لأنها أصبحت تنتمي إلى العمل والموضوع الذي تصنعه بنفسها، ولا تنتمي إلى ذاتها، ولذا فإن العامل أثناء عمله لا يؤكد ذاته بل ينكرها ، مما يزيد غربته ويزيد عزلته وانفصاله وبالتالي اغترابه.

### (٣) الوظيفة البنائية:

لقد تعاملت هذه النظرية مع المجتمع ككل وبما يسوده من روابط إنسانية وعلاقات اجتماعية، تحكمها قيم ومعايير يفترض فيها الضبط والمشاركة والتفاعل الاجتماعي، مما ينفي وجود (الأنومي Anomie) و(اللامعيارية Normlessness) فيري "أميل نوركليم" أن المعيارية وراء أخلاقيات المجتمع وتعكس مدى توافق الفرد مع المجتمع ، وأن للعقل الجمعي أهميته في استقرار المجتمع وتماسكه ويقوم على اتفاق معياري، ويرى تلاكوت بلرسونز" أهمية هذا الاتفاق المعياري حيث ضرورة للتوحد مع القيم والمعايير السائدة في المجتمع. ويرى "روبرت ميرتون" ضرورة احترام وتقدير المعايير الاجتماعية، لأن الخلل وعدم التوازن في العلاقة بين الأهداف المنشودة لإنتاج القيم الاجتماعية وبين القواعد والمعايير الاجتماعية لإنتاج هذه الأهداف يؤدي إلى (الأنومي Anomie) وخلق شعور بالعزلة والانفصال عن المجتمع، بل وربما البحث عن قيم بديلة للتعامل وتحقيق التفاعل الاجتماعي.

### (٤) أما عن مدرسة الفعل الاجتماعي (المدرسة النفسية في علم الاجتماع):

فيري "ماكس فيبر" أن للحرية أهميتها في انتقاء الاغتراب، ولذلك اتهم التنظيم البيروقراطي في الحد من عملية للتفاعل الاجتماعي وأنه وراء تدهور العلاقات والروابط الإنسانية، ويتسبب في عزله الأفراد عن مجتمعهم واغترابهم. ويرى "أريك فروم" أن فقدان النفس لذاتها وهروبها من ممارسة الحرية، هو موافقة الفرد على التنازل عن ذاته الفردية، فأصبح فاقد التعبير عن نفسه كخالق لأفعاله، ويرى "فروم" أنه في الحب والعمل للطريق إلى الحرية الإيجابية المثمرة، لأن الحب يعمل على إعادة وحدة الشخص المغتراب، وبالحب يتطلب على

الانفصال عن الذات، وأن الشكل الزائف من الحرية يرتبط بشكل زائف من الحب، وأن الحرية الإيجابية قادرة على هدم الاغتراب، ومعها يعيش الإنسان من أجل أن يكون، لا من أجل أن يُستعمل، أو يحصل على، وأنه بالحب والعمل يربط الإنسان نفسه بالعالم حوله، وأن الحب المنثر هو مصدر الحرية الإيجابية المنثرة.

(٥) وانتهى الفصل بوقفه مع الإسلام: بـقيمة الجوهرية في معالجته لهذا المفهوم السلبي (الاغتراب) حيث العبودية لله وحده، والخضوع والتسليم له وحده سبحانه رب العالمين خالق البشر وخالق كل شيء ، والقادر على كل شيء وبيده ملكوت كل شئ ، وإليه يرجع كل شيء وسبحانه ليس كمثل شيء، وحق على الناس جميعاً إخلاص العبودية له وحده لا شريك له ، والتسليم الكامل له ، على أن يرافق هذا الخضوع وذاك التسليم الأخذ بالأسباب كفعل إيجابي حتمي يستمر باستمرار حركة الحياة، فمن تمام العبودية الأخذ بالأسباب في مسيرة السعي في الحياة، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات ٥٦]

ولكي تتحقق العبودية الصحيحة، انزل الله تعالى المنهج الإلهي (القرآن الكريم) للناس كافة، علي خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم المبعوث للناس كافة ورحمة للعالمين ليبصرهم بأمور دينهم وديناهم ، حتى تستقيم أمور حياتهم فيمتثلون طاعة لم أمر الله به، وتجنباً لما نهى الله عنه، حتى يصلح أمر دنياهم ودينهم ويعيشون حياة أمنه مطمئنة، وفي حق هذا المنهج الإلهي قال تعالى: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾ [الأنعام ٣٨] وأنه سبحانه تناول فيه كل أمور حياة الإنسان صغيرها وكبيرها ليكون مرجعاً حقيقياً يبصره بأمور دينه وديناهم لتستقيم حياته الدنيا، والأخرة. وقال الله تعالى في حق

مَنْ يَعْرِضُ عَنْ هَذَا الْمَنْهَجِ تَفَلُّلاً أَوْ تَجَاهُلاً سِوَاهُ قَوْلًا أَوْ سُلُوكًا:  
 ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ  
 حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى  
 (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ وَأَنهى (١٢٧) ﴾  
 [طه]. فما خلق الله تعالى البشر إلا لعبادته، واستخلفهم في الأرض لإعلاها وإلي  
 حين، وبمنهج الله تعالى بقيمه الجوهرية وبوضحها هدى رسولنا الكريم محمد ﷺ،  
 الذي قال الله تعالى في شأنه: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى (٤) عَلَّمَهُ  
 شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ﴾ [النجم].

وأكد الله تعالى على ضرورة إتباع هدى الرسول محمد ﷺ والأخذ بسنته مع  
 المنهج الإلهي، وذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر ٧]

وأخيراً كيف يمكن قهر هذا المفهوم السلبى، وتأكيد الذات الإيمانية  
 المنتمية الواعية بذاتها، والمعتزة بهويتها الشديدة للفخر بولاءها وشرف  
 الانتماء لمجتمعها وأمتها، بل وتسعى للإسهام بفعالية في بناء هذا المجتمع،  
 والمحافظة عليه، والأخذ به إلى طريق التقدم والتطور، وهذا ما يقدمه الفصل  
 الرابع والأخير من هذا الكتاب، حيث يناقش كيفية معالجة هذا المفهوم السلبى  
 (الاغتراب) وقهره عبر (التقوى)، حيث تقوى الله سبحانه وتعالى، ومعرفة معنى  
 العبودية له سبحانه وحده التي يفترض أن تتجلي في سلوك البشر رجاءً وخوفاً  
 منه، وحباً وطاعةً له وحده سبحانه، حتى تصبح التقوى قيمة عليا توجه السلوك  
 في كافة المواقف الحيائية على تنوعها صغيرها وكبيرها سواء على المستوى

الفردى أو المآمآى؁ فالآقوى آقهر الاآراب؁ وآمآو كآفة المفاهيم السلبفة وآمى النفس البشرفة؁ وآآصنفا آذ كل ما ىنال منها ومن أمآها؁ بل وآآرص على وآآآها وآماسكها وعزآها وآآدمها؁ ومع الآقوى آآآق الآذآ الفردفة الأمآة المآمآنة الساعفة للآفر والصالآآ لها ولمن آولها؁ ونفس هذا المعنى ىنسآب على الآذآ المآمآفة.

ولعله فى آعضف بعض المآلور الآالفة ما ىقهر الاآراب عبر المسآولفآ الفردفة والمآمآفة والآى ىفآرض فىها أن آآآهآ الآقوى كآفمه آوجه السلوك فى كآفة الآعاملآ فى آمفع المواقف الآفآففة صفر شأنها أم كبر:

### ١ - آنمفه الوعى الآقففى لآآنب الآلل القفمى فى المآمآع:

انآلاقاً من أن للوعى سفاقه وأساسه الاآآمعى؁ وكما له بآء ذاتى وآآر اآآمعى؁ فإنه ىآآمن قءراً من الاستقلالفة النسبفة مع ارآبآطه بالعوامل المآمآفة؁ وآاصة السفاسفة؁ وآبعاً لذلك آآآوع ملامآه طبقاً لآآوع المواقف؁ بل وربما آآآاقص من موقف لآآر؁ ولذا فإن عملفة آزففب الوعى عملفه آارفآفة مسآمرة ومآرءة وفسهم فىها العءفء من الأطراف بءة من الطبقة الآامآة المسفطرة الآى آعمء لآزففب وعى آماهرها بما هو لصالآها؁ وفساعءها فى ذلك الإعلام؁ وكذلك الطبقة المسفطرة اآآصافاً لأنها سآكون هى المسفطرة فآرفاً؁ فهى غالباً ما آسعى وبشءة لآآول ءون نضآ الوعى السفاسى لآماهرها؁ بل وآعمل على آهمفشه وآسطفحه.

كذلك فلعب النظام الآلفمى ءوراً فى آزففب وعى الآماهر؁ وذلك بأن فعفء إآآاآ الواقع الاآآمعى أى(الآآلف الاآآمعى) وفعرق الآمفة؁ بل وفسآع على آآء موقف من أففءولوفآآ الطبقات الاآآمفة؁ عاكساً بذلك الأففءولوففه

الرسمية السائدة، والخطاب السياسي السائد، فيعمل بل ويزيد من تزييف الوعي واغتراب الجماهير، ورغم أن الوعي الديني في علاقة طردية مع الأخلاق البيئية، إلا أنه - في عصر العولمة حيث ترويجها للطمانية بقيمها الشديدة التحرر، ومحاولات النيل من الإسلام واتخاذها عدواً- قد يكون لبث الوعي الديني سواء عبر التعليم أو الإعلام شأناً آخر، حتى يتفق مع إيديولوجية العولمة... ومع هذا الخلل القيمي تنفسي الأمراض العصابية في المجتمع، ومعها يسود اللامعني، واللامعيارية وتصبح العزلة ومشاعر العجز هي الغالبة على الأفراد، فيتقش الاغتراب بأبعاده وينال من الأفراد وأيضاً المجتمع، وخاصة على مستوي الولاء والانتماء والهوية .

## ٢- الاعتراز بالهوية وشرف الانتماء وتحقيق الذات:

مع البحث في مفهوم الاغتراب من الصعوبة فصل المفاهيم الثلاثة: (الهوية، الانتماء، وتحقيق الذات) فهي مفاهيم وثيقة الصلة فيما بينها وذات علاقة تأثيرية متبادلة مباشرة، حيث الارتباط الوثيق والتداخل والتفاعل فيما بينما، فتعكس الهوية مدي وعي الذات بذاتها، ومدى وعي الآخر بها، ووعيها بالآخر في حد ذاته، ناهيك عن أن الهوية وليدة الانتماء وتنشأ عنه، والانتماء يؤدي إليها ويؤكد ضرورة الوعي والاعتراز بها، فهي سبب الانتماء ونتيجة له في آن واحد. ولأن الهوية من أكثر الحاجات الإنسانية إلحاحاً يتحتم للوعي بها والسعي لتحقيقها، وهي لا تحول دون التفرد والتمايز، ولكن تؤكد على التوحد مع الوطن وشرف الانتماء له، وأنه إذا لم تتمكن الذات الإنسانية من إشباع حاجاتها الأساسية، أثر ذلك سلباً على الهوية مسبباً أزمة في الهوية ، وضعف للقدرة على التوازن والاستمرارية، بل وتسرع بالسقوط في معاناة الاغتراب بأبعاده

المتعددة، ولذا فإنه من الصواب ألا يكون هناك إفراط في تأكيد مشاعر الفردية، وأيضاً لا تفريط في الاعتزاز بالمشاعر والانتماءات الجماعية والمجتمعية، وإنه مع عدم تعيين الهوية وتجاهل محدداتها، تصاب الذات الفردية بمشاعر الاغتراب، والإحساس بالنقص الذي يصاحبه العديد من الأمراض والاضطرابات النفسية مثل: القلق، الخزي، القهر، الكبت، وغيرها، وجميعها تنال من مفهوم الذات، وأيضاً تحقيق الذات، وتقديرها.

وهكذا ينال الاغتراب من الذات الفردية وأيضاً الذات المجتمعية، مؤثراً سلباً على مدى ودرجة الإنجاز، وحتى إن تحقق الإنجاز، فإنه لا يضيف بهجة على المغترب، ولذا يعجز المغترب عن تحقيق ذاته، وبالتالي يفتقد إلى تقدير الذات، وتتعاظم الفردية والأناملية والسلبية، وما يتبع ذلك من تفسخ المجتمع نتيجة ضعف الالتزام بالواجبات، والافتقار للإحساس بالأمن والأمان بفعل تجاهل الحقوق الأساسية وحرمان إشباعها.

### ٣- الاغتراب والخصوصية الثقافية (الهوية العرقية):

انطلاقاً من الإدراك الواعي بالذات، وتميزها وتفردتها، والإدراك الواعي بالآخر وبقيمة في حد ذاته كأخر، وأن التراث بمثابة خصوصية ثقافية، وأن التضحية ولو بجزء منه هو استبعاد لزمانية هذا التراث، وتشويه الذات الثقافية تماماً، كالوقوف عند الماضي الذي يمثل انكساراً وصعوبة أخطر، لأن البعد التاريخي يؤكد الهوية وتمايزها، ولذا فإن الإدراك الواعي بالذات وتمايزها، يسهم في تدعيم الثوابت التاريخية، ومن هنا تعتبر الهوية الثقافية هي النواة الحية للشخصية الفردية والاجتماعية وهي النمط الثقافي المميز للجماعة أو المجتمع،

هذا ويلعب الاختلاف الثقافي والعقائدي دوراً في مدى اغتراب أصحاب الهوية العرقية تماماً كما تفعل الظروف الذاتية ، والمجتمعية.

وكما أن التبادل الثقافي يسهم في تعزيز الهوية، فإن القهر الثقافي يجعل بتعميق مشاعر الاغتراب، وأنه في حال تخلى الفرد ولو عن جزء من إرثه الثقافي إكراهاً ، أو نتيجة لضغوط ما، فإن ذلك يجعل بمشاعر الاغتراب، لأن الاغتراب كمفهوم سلبي يتعامل مع مفاهيم أساسية ترتبط بحياة الفرد وولائه وانتمائه لثقافته الأصلية بعناصرها المتعددة.

وتعاني الهويات العرقية، حيث الخصوصية الثقافية، وتتناقضاتها مع ثقافة المجتمع للمغايرة، نتيجة عدة عوامل قد يكون منها: (افتقاد أداة للتواصل مع الآخرين الآوى (اللغة) لغة البلاد التي هاجرت إليها تلك العرقيات، والاختلاف العقائدي وممارسته، والتحديات الاقتصادية والاجتماعية التي هي وراء عدم إشباع الحاجات الأساسية، مما يؤدي إلى تفضي مشاعر العجز والعزلة). كذلك أيضاً ممارسات الجبر والإكراه في تخلى بعض أصحاب العرقيات ولو عن جزء من إرثهم التاريخي، ناهيك عن إنتقال النظم التعليمية إلى مهارات ومعارف تساعد الأقليات العرقية على الحياة بشكل صحي وإيجابي عبر تبصيرهم بمشكلات وقضايا البلاد التي يقيمون فيها، وكيفية التعامل معها أو محاولة تجاوزها.

وربما قد يكون للوعي المتعدد الثقافات ضرورة في البلاد التي تقيم بها العديد من الأقليات والعرقيات، تجنباً لعزلتهم أو تفضي مشاعر الإحساس بالعجز أو الانفصال عن المجتمع، بمعنى أدق تجنباً للاغتراب بتوابعه السلبية سواء على العرقيات، أو على المجتمع ككل، مع الأخذ في الاعتبار الاختلاف الثقافي، ومراعاة الحساسية الثقافية بما تتضمن من عناصر الثقافة وأبعادها، وذلك دون قهر أو إجبار، حتى يمكن تحقيق التفاعل الإيجابي والانماج في الحياة المجتمعية،

بما ينفي الاغتراب بأبعاده، وتجنب المشاحنات الطائفية، وما شابها، وجميعها لها أنعكاسها السلبي على الذات الفردية، والطائفة العرقية، والذات المجتمعية.

**وختاماً:** مع الخوف والرجاء من الله سبحانه وتعالى وتحقيق العبودية

الكاملة والتسليم الكامل والخضوع له سبحانه، حيث الامتثال والطاعة لِمَ أمر به، وتجنب ما نهى عنه، حينئذ يصلح حال الذات الإنسانية الفردية في سعيها في الحياة الدنيا، وأخذها بالأسباب حيث الإقبال على عمل الصالحات وفق القسيم التي حثنا الله تعالى عليها في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، وفي تعامله مع الآخرين حوله، ومع المجتمع ككل ، فالأعمال جميعها معروضة على رب العالمين وسيحاسب عليها المرء، وكفسي بالمرء تذكره بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) ﴾ [الحديد]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ [الطلاق]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) ﴾ [الطلاق]

وقد يكون من المفيد الإشارة إلى أنه قد استتارت سطور هذا الكتاب بالعديد من الآيات القرآنية الكريمة، وأيضاً الأحاديث النبوية الشريفة ، كلما استدعي الأمر لزيادة المعنى وضوحاً وتعمقاً في ذهن القارئ، كما لعبت نتائج الدراسات والبحوث علي تنوعها، العربية والأجنبية، دوراً في بلورة محتوى هذا الكتاب كل في سياقها، لتدعيم أبعاده ومحاوره، مع الوعي بأن نتائج الدراسات الأجنبية هي وليدة ثقافة مغايرة ولكن هذا لا يمنع الاستفادة منها في بلورة هذا المفهوم السلبي (الاغتراب) الذي ينال من الذات الإنسانية الفردية، والذات والمجتمعية اينما وجدت، طالما توفرت عناصر وعوامل تواجهه علي تنوعها في الزمان والمكان.

والله ولي التوفيق ،،،

تحريراً في ١٠/٨/٢٠١٠

المؤلف

الدكتور / لطيفة إبراهيم خضر